اتت صاحبك بمثله وتقول شياطين الجن لشياطين الانس كذلك فذلك وحي بعضهم الى بعض وقوله زخرف القول
يعني باطل القول والزخرف هو الباطل من الكلام الذي قد زين ووشي بالكذب وقيل كل شيء حسن مموه فهو
زخرف غرورا يعني ان الشياطين يغرون بذلك القول الكذب المزخرف غرورا وذلك ان الشياطين يزينون الاعمال
القبيحة لبني آدم ويغرونهم بها غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه يعني ما فعلوا الوسوسة التي يلقونها
الشياطين في قلوب بني آدم والمعنى ان الله تعالى لو شاء لمنع الشياطين من القاء الوسوسة الى الانس والجن
ولكن الله يمتحن من يشاء من عباده بما يعلم انه الاجزل له في الثواب اذا صبر على المحنة فذرهم وما يفترون
يعني فخلهم يا محمد وما يزين لهم ابليس وغرهم به من الكفر والمعاصي فاني من ورائهم قوله تعالى ولتصغى
اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة قال ابن عباس ولتميل اليه واصل الصغو في اللغة الميل يقال صغو
الى كذا مال اليه ويقال صغوت اصغو واصغيت اصغي لغتان قال ابن الانباري اللام في ولتصغى متعلقة
بفعل مضمر معناه وفعلنا بهم ذلك لكي تصغى الى الباطل افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وقال غيره اللام
متعلقة بيوحي تقديره يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول ليغروا بذلك ولتصغى اليه افئدة الذين
لا يؤمنون بالآخرة والضمير في اليه يرجع الى زخرف القول والمعنى ان قلوب الكفار تميل الى زخرف القول
وباطله وتحبه وترضى به وهو قوله وليرضوه يعني يرضون بذلك الزخرف القول الباطل وليقترفوا
ما هم مقترفون يعني وليكتسبوا من الاعمال الخبيثة ما هم مكتسبون قوله عز وجل افغير الله ابتغي
حكما اي قل يا محمد لهؤلاء المشركين افغير الله اطلب حكما قاضيا يقضي بيني وبينكم وذلك انهم كانوا
يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل بيننا وبينك حكما فامر الله تعالى ان يجيبهم بهذا الجواب والحكم
والحاكم واحد عند اهل اللغة غير ان بعض اهل المعاني قال الحكم اكمل من الحاكم من شأنه ان يحكم والحكم
اهل ان يتحاكم اليه وهو الذي لا يحكم الا بالحق فالله حكم لا يحكم الا بالحق ولما انزل الله على محمد القرآن
فقد حكم له بالنبوة وهو قوله تعالى وهو الذي انزل اليكم الكتاب مفصلا يعني مبينا فيه امره ونهيه
ووعده ووعيده وفيه الحكم بيني وبينكم والذين آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى
يعلمون انه منزل من ربك بالحق يعني يعلمون ان هذا القرآن منزل من عند الله وذلك لما قام عندهم
بالدلائل الدالة على ذلك وقيل المراد بهم علماء الصحابة ورؤساؤهم مثل ابي بكر وعمر وعثمان وعلي ر
ونظرائهم يعلمون ان هذا القرآن منزل من ربك بالحق فآمنوا به وصدقوه فلا تكونن من الممترين
يعني فلا تكونن يا محمد من الشاكين ان علماء اهل الكتاب يعلمون ان هذا القرآن حق وانه منزل من عند الله
وقيل معناه فلا تكونن في شك مما قصصنا عليك انه حق وصدق وهو من باب التهييج لانه صلى الله
عليه وسلم لم يشك قط وقيل الخطاب وان كان في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به غيره
والمعنى فلا تكونن ايها الانسان السامع لهذا القرآن في شك انه منزل من عند الله لما فيه من الاعجاز الذي
لا يقدر على مثله الا الله تبارك وتعالى قوله تعالى وتمت كلمات ربك وقرئ كلمة ربك على الجمع فمن قرأ على
التوحيد قال الكلمة قد يراد بها الكلمات الكثيرة اذا كانت مضبوطة بضابط واحد كقولهم قال الشاعر
في كلمته يعني في قصيدته وكذلك القرآن كلمة واحدة لانه شيء واحد في اعجاز النظم وكونه حقا وصدقا
ومعجزا ومن قرأ بالجمع قال لان الله قال في سياق الآية لا مبدل لكلمات الله فوجب الجمع في اللفظ الاول
اتباعا للثاني صدقا وعدلا يعني صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم وقيل ان القرآن مشتمل على
الاخبار والاحكام فهو صادق فيما اخبر عن القرون الماضية والامم الخالية وعما هو كائن الى
قيام الساعة وفيما اخبر عن ثواب المطيع في الجنة وعقاب العاصي في النار وهو عدل فيما حكم
من الامر والنهي والحلال والحرام وسائر الاحكام لا مبدل لكلماته يعني لا مغير لقضائه ولا راد لحكمه
ولا خلف لمواعيده وقيل لما وصف كلماته بالتمام في قوله وتمت كلمات ربك والتمام في كلمات الله
لا يقبل النقص والتغيير والتبديل قال الله تعالى لا مبدل لكلماته لانها مصونة عن التحريف والتغيير

والتبديل

والتبديل باقية الى يوم القيامة وفي قوله لا مبدل لكلماته دليل على ان السعيد لا ينقلب شقيا ولا الشقي ينقلب
سعيدا فالسعيد من سعد في الازل والشقي من شقي في الازل وأورد على هذا ان الكافر يكون شقيا بكفره فيسلم
فينقلب سعيدا باسلامه واجيب عنه بان الاعتبار بالخاتمة فمن ختم له بالسعادة كان قد كتب
سعيدا في الازل ومن ختم له بالشقاء فقد كان شقيا في الازل والله اعلم قوله تعالى وهو السميع
يعني لما يقول العباد العليم يعني بما في ضمائرهم قوله عز وجل وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله قال المفسرون ان المشركين جادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين في اكل الميتة
وذلك انهم قالوا للمسلمين كيف تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى
الله عليه وسلم وان تطع اكثر من في الارض في اكل الميتة وكان الكفار يومئذ اكثر اهل الارض يضلوك عن
سبيل الله يعني يضلوك عن دين الله الذي شرع لك وبعثك به وقيل معناه لا تطعهم في معتقداتهم
الباطلة فانك ان تطعهم يضلوك عن سبيل الله يعني يضلوك عن طريق الحق ومنهج الصدق ثم اخبر عن حال
الكفار وما هم عليه فقال تعالى ان يتبعون الا الظن يعني ان هؤلاء الذين يجادلونك ما يتبعون في دينهم
الذي هم عليه الا الظن وليسوا على بصيرة وحق في دينهم وليسوا بقاطعين انهم على حق لانهم اتبعوا
اهواءهم وتركوا التماس الصواب والحق واقتصروا على اتباع الظن والجهل وان هم الا يخرصون يعني
يكذبون واصل الخرص الحزر والتخمين ومنه خرص النخلة اذا حزر كمية تمرها على الظن من غير يقين وسمي
الكذب خرصا لما يدخله من الظنون الكاذبة وقيل ان كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له خرص لان قائله لم يقله
عن علم ويقين ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد ان ربك هو
اعلم منك ومن جميع خلقه اي الناس يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وهو ايضا اعلم من كان
على هدى واستقامة منهم اذ لا يخفى عليه شيء من احوال خلقه فاخبر تعالى انه اعلم بالفريقين الضال والمهتدي
وانه يجازي كلا بما يستحق قوله تعالى فكلوا مما ذكر اسم الله عليه هذا جواب لقول المشركين حيث
قالوا للمسلمين انما تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتل ربكم فقال الله تعالى للمسلمين فكلوا انتم مما ذكر
اسم الله عليه من الذبائح ان كنتم بآياته مؤمنين وقيل كانوا يحرمون اصنافا من النعم ويحلون الميتة
فقيل احلوا ما احل الله وحرموا ما حرم الله فعلى هذا القول تكون الآية خطابا للمشركين وعلى القول الاول
تكون الآية خطابا للمسلمين وهو الاصح لقوله في آخر الآية ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا
مما ذكر اسم الله عليه يعني واي شيء لكم من ان لا تاكلوا وما يمنعكم من ان تاكلوا مما ذكر اسم الله
عليه وهذا تاكيد في اباحة ما ذبح على اسم الله دون غيره وقد فصل لكم ما حرم عليكم وقد
بين لكم الحلال من الحرام فيما تطعمون وقال جمهور المفسرين المراد بقوله وقد فصل لكم ما حرم عليكم
المحرمات المذكورة في قوله تعالى حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به واورد الامام
فخر الدين الرازي هاهنا اشكالا فقال ان سورة الانعام مكية وسورة المائدة من آخر ما انزل الله تعالى
بالمدينة وقوله وقد فصل لكم يجب ان يكون المفصل مقدما على هذا المجمل والمدني متاخر عن المكي فيمتنع
كونه متقدما ثم قال بل الاولى ان يقال المراد قوله تعالى بعد هذه الآية قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم
يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا او لحم خنزير وهذه الآية وان كانت مذكورة بعد هذه بقليل
الا ان هذا القدر من التاخر لا يمنع ان يكون هو المراد فالذي ذكره المفسرون فيه وجه وهو ان الله
لما علم ان سورة المائدة متقدمة على سورة الانعام في الترتيب لا في النزول حسن عود الضمير في قوله
وقد فصل لكم ما حرم عليكم الى ما هو متقدم في الترتيب وهو قوله حرمت عليكم الميتة الآية والله
اعلم بمراده وقوله تعالى الا ما اضطررتم اليه يعني الا ان تدعوكم الضرورة الى اكله بسبب شدة
المجاعة فيباح لكم ذلك عند الاضطرار وان كثيرا ليضلون باهوائهم بغير علم يعني وان كثيرا
من الذين يجادلونكم في اكل الميتة ويحتجون عليكم في ذلك بقولهم انما تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون